Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويشهد عصرنا علماء الأحياء عاكفين فى مختبراتهم ومعاملهم على فحص الخلية الأولى قبل أن تنقسم، دون أن يرى فيهم بقايا متخلفة من عصورٍ خلت .

والأمر كذلك بالنسبة إلى أصحاب الفن الأدبى ونقاده ودارسيه : إنهم يستطيعون أن يغوصوا فى أعماق الوجدان الإنسانى المعاصر ويلتمسوا أخفى ما يطوى من ميراث الحقب الغابرة ، ويتابعوا صراع ذلك القديم العتيق مع الجديد الطارئ ، دون أن يحق لأحدٍ أن ينفى عنهم المعاصرة أو يدعى انتماءهم إلى زمن بائد سحيق .

* * *

ومهما يوغل الأديب المعاصر فى الماضى البعيد لتتحقق له ملابسةُ التجربة الأدبية والاندماج التام فى مسرح الأحداث التى اختارها من القديم موضوعاً لعمله الأدبى ، بل مهما يغب عن الزمان والمكان فى استغراقه الوجدانى فيما يكتب عنه من العصور الخوالى ، يظل دائماً على اتصال حتمى وثيق بعصرنا الذى نعيش فيه.

وليس من الضرورى أن يشعر بهذا الاتصال أثناء استغراقه فى عمله وملابسته للواقع القديم ، بل يتحقق هذا الاتصال تلقائياً دون أن يدرى ودون قصدٍ عامد ، لأنه فى وقفته على القديم إنما يتجه إليه قسراً بتأثير مزاجه وشخصيته ، ولا مفر من أن يقع ظلُّ نفسه على كل ما يقرأ من حديث الزمن الغابر . وهو فيما يكتب لا يستطيع أن يصم مسمعه عن أصداء العصر التى تلاحقه حيثما اتجه. وإذ يلتمس فى عزلته عن عصرنا معايشةَ الأحداث الماضيات التى استوقفته ، يمضى إلى هذه العزلة بوجدان تلقى حظه المحتوم من مؤثرات البيئة والعصر ، ويكتب فيها بقلمٍ من صناعة هذا الزمان ، ومن ثم يُطِلُّ على الماضى من أفق عصرنا ، فتلوح له الرؤى البعيدة على مسرح وجودنا الحى .

ولا يدخل فى حسابنا هنا ما يكتبه كاتب فى زماننا ، عن قيس وليلى مثلاً ، أو عن عنترة ومهلهل ، كما كتب أبو الفرج الأصبهانى فى أغانيه أو شوقى فى مجنون ليلى ، لأن آلية النقل أفقدته عنصر الأصالة التى هى جوهر العمل الأدبى .

* * *

وإذا سأل سائل : أليس فى زمننا هذا بيئات منعزلة عن روح العصر ، ومن ثم يبقى أدبها بمعزلٍ عن أصداء الجديد ؟